

كلمة رئيس الجامعة الأنطونية الأب ميشال جليخ  
في حفل تكريم الفيلسوف ناصيف نصار  
٢٩ تشرين الثاني ٢٠١٨

أيها الحفل الكريم،

عام ٢٠٠٨، أطلقت الجامعة الأنطونية سلسلة كتب تكريمية طبعت وما تزال المشهد الثقافي اللبناني، هي سلسلة "إسم علم". افتتحتها بتكريم ناصيف نصار، الكبير الذي بفضلته وُلدت "اسم علم" كبيرةً وما عاد يحقُّ لها أن ترضى بأقل من الريادة؛ فحلَّ نصار على منبر الجامعة علمًا للاستقلال الفلسفي، وحلَّ في قلوب أهل الجامعة علمًا للصدقة الفكرية النبيلة .

نفدت الطبعة الأولى من كتاب السلسلة الأول، ناصيف نصار علم الاستقلال الفلسفي، فأصدرت الجامعة طبعةً ثانيةً مزيدهً تضمّنت دراساتٍ حول ما صدر لنصار من مؤلفات بعد الطبعة الأولى، وكان أن نفدت الطبعة الثانية أيضًا .

أجل، لا بدَّ لنسخ الكتب، مهما بلغ عددها، أن تنفذ، أما تقديرنا لهذا الرجل ولما قدّمه للفلسفة في لبنان والعالم العربي، ولللسفة عمومًا، فلن. لذا ها نحن في محطة تكريمية ثالثة، وهذه المرة بالشراكة مع معهد العالم العربي في باريس .

ولا غرابة في ذلك، فلقد استوطن نصار منذ أعماله الفلسفية الأولى المدى العربي الأوسع، ولما تُعْرِه يومًا تهويمات التوقع والخصوصية. فطريق الاستقلال الفلسفي (١٩٧٥) هو بحسب عنوانه الفرعي "سبيل الفكر العربي إلى الحرية والإبداع"، وتصوّرات الأمة المعاصرة (١٩٨٦) هو دراسة تحليلية لمفاهيم الأمة في الفكر العربي الحديث، والتفكير والهجرة (١٩٩٧) أرادته ناصيف نصار طريق الشعوب العربية من التراث إلى النهضة العربية الثانية، والإشارات والمسالك (٢٠١١) إن هو إلا خطٌ للمسالك الممكنة انطلاقًا من التراث، تراث ابن خلدون وابن رشد، إلى رحاب العلمانية المعاصرة .

باختصار، هو فيلسوف عربيٌّ بامتياز، أوّلًا لأنّه نهض بالتحديّ الجبار المتمثّل بالكتابة الفلسفية الإبداعية بالعربية، فجاءت لغته ناصعة العروبة كاملة القوام الفلسفي؛ وثانيًا لأنّ الفكرة-الأم التي يدور حولها نتاجه هي "النهضة العربية الثانية"، نهضتْنا المرتجاة، التي لم ينفك نصار يؤكّد بأنها ليست مستحيلة ولا هي حتمية: هي إمكانٌ مرهونٌ بإرادتنا، وقدرتنا على تحويل الشكوى إلى رغبةٍ تغييرية، والرغبة إلى طموحٍ مخطّط .

ولأنّ الفلسفة لا تستكين في انتمائها مهما جهدت لتمنع الانتماء من أن يُغرّقها في التأقلم والتكيف، ولأنّها تنهدُّ دومًا إلى الشمولية، فإنّ مؤلّفني نصار الكبيرين الأخيرين، عنيت الذات والحضور (٢٠٠٨) والنور والمعنى (٢٠١٧)، يتناولان الإنسان، كلّ الإنسان وكلّ إنسان، في صناعة هويّته وبحثه عن أنوار المعنى، متخطّيين موضوع النهضة

العربيّة بمعناها المباشر، لكنّهما، مع ذلك، إمّا يعالجان المسائل الكونيّة بالمنهجية التي وصفها في طريق الاستقلال الفلسفي، أعني في نديّة صديقة مع الغرب، ووفاء خلاقٍ للتراث العربيّ.

قبل الختام، أرحّب بكم جميعًا، خاصًّا بالذكر مدير عام معهد العالم العربيّ الأستاذ الدكتور مُعجِب الزهراني، ومدير كرسيّ معهد العالم العربيّ الأستاذ الطيّب وُلِد العروسي، وأشكر المُنتدين الآتين من الخارج، والمُنتدين اللبنانيين.

أيها الحضور الكريم، ليس في الجامعة الأنطونية قسمٌ مخصّصٌ للدراسات الفلسفيّة، لكنّنا نعتبر الفلسفة مكوّنًا أساسيًا من مكوّنات مفهوم الجامعة، لأنها مدرسة النديّة الصديقة التي ينبغي أن تحكّم العلاقة بين الباحثين جنبًا إلى جنبٍ عن الحقيقة، وهي لا تنبلجُ إلا في تبارز أفكارهم المختلفة، ولأنّها، أي الفلسفة، أمّ المعارف، والجميّة المعرفيّة والسلوكيّة التي تنتهجها إنسانيتنا كيما تليقُ بها الإنسانيّة.

ليست الفلسفة سوى وقوف الإنسان بملاء قامة العقل إزاء الوجود، والمعرفة، والعمل، وطرحه تيكَ الأسئلة- الحفافي المتحدّدة باستعصائها، مُصرًّا على تحدّي الجبال بميزان الذهب، وعلى الوقوف كقصبه بسكال بوجه سرّ الوجود.

إنّني لسعيدٌ باتّساع الأنطونية مرّة ثانية وثالثة لتكريم ناصيف نصّار، وأنتم ولا شك سعداء، والجامعة سعيدة وفخورة، أمّا هو فمستحق، مستحق، مستحق.